

الخاتمة

لقد تبعنا في هذه الدراسة "أدب الجسد" ما دار حول الكتابة في هذا الباب، ومع ذلك حاولنا بيان صورة هذا اللون في الآداب الإنسانية، ومدى قبوله أو رفضه، وكذلك الصراعات التي دارت حوله، مروراً بآدابنا وإسهامات كتابنا في هذا المجال، وإن كانت إسهامات قليلة، إذا قيست بالخطوات الكبيرة والسريعة التي قطعها الغرب في هذا الإطار، وهي خطوات اتكأت على مذخور هائل تصدرته أنواع من التعبير الخاص عن الذات وإن قابله شيء من الصدام عبر الحضارات التي تواترت على الساحة الغربية، حتى تبلور في ستينيات هذا القرن بوصفه نوعاً من التعبير يباركه المجتمع على استحياء.

غير أن الأمر يختلف لدينا، إذ لم يمر أدبنا - في عصره الحديث - بتلك التقلبات التي رأيناها في الأدب الغربي مروراً بالعصور الوسطى - وإنما كان تقليداً بحتاً له في أصوله الغربية، بل غداً خروجاً وتمرداً صريحاً لكاتبه على الثابت والموروثات.

ولا يشفع ما في آدابنا من إشارات إلى هذا اللون، إذ لم يكن هذا سوى تجارب خاصة، لم يكتب لها التوسع والانتشار - كعصورتنا - تمثل تجارب فردية بحتة، لا ظاهرة كما هو عليه حال بعضها الآن.

والخلاصة أننا وجدنا أن هذا النوع من الكتابة صدى لمكونات النفس ومعياراً لها، إذ هو نتيجة للكبت والحرقان

أحياناً، وقد يكون نوعاً من الاعتراف في أحيان أخرى، يخرج
الكاتب كما هو دون زيف أو رتوش، جاء كما أحسه، وأبان
عنه كما رآه.

وإذا كان بعض هؤلاء يقر بهذا تحت دعاوى كثيرة ومتباينة،
كالواقعية، أو حرية الإبداع، فإن الواقعية لا تقر بالنظرة الضيقة
المنفصلة عن عالمها في كل الأحوال، إذ الواقعية تنظر إلى
الوجود نظرة شاملة، فهي لا تقف أمام الواقع الضعيف من
النفس البشرية، وإنما تتجاوز هذا - مع اعترافها به - إلى ربطه
بقضايا الإنسان الكبرى، إذ لا تسلط عدستها على نواحي
الاضطراب فيه، وإنما هي تقر بذلك مع كليات أرفع وأرقى،
متجاوزة هذا الواقع الدنس إلى واقع أكثر ثراءً وتسامياً، لم
ينفصل عن المضمون الإنساني العام الذي ينظر إلى الوجود نظرة
متكاملة، وإلى الإنسان نظرة متكاملة كذلك.

والحقيقة أن المطلع على ما تزخر به المكتبات في هذا المجال،
وبخاصة في الآونة الأخيرة، لا يكاد يخرج بمضامين نقدية أو
إبداعية، إذ إن ذلك في مضمونه لا يعدو كونه شكلاً واحداً،
يعبر عن رؤية واحدة أيضاً، حتى لو تعددت معها زوايا التعبير
وموضوعاته، جاء بعضها في حوارات مسفة والفاظ ركيكة،
وتعبيرات مبتذلة، وأفكار رخيصة، أخرجت في أثواب رقيقة،
تكشف عن نفوس شاذة سقيمة.

إنها أحاديث النفس والهوى، ومناجاة الذكورة في حالة
شبهها وجموحها، هي مذكرات شخصية أحياناً، تحكى فيها المرأة
عن ذاتها، معددة مفرداتها الأنثوية، ومتتعة تفاصيلها أحياناً
أخرى .

إنها كتابات الغرف المغلقة، وأحاديث الذات الداعرة ، تقدم

للمراقبين والشواذ تحت مسمى الكتابة والفن !!؟ .
إذ هي كتابات بلا هدف أو مضمون، قُبط من الراقى إلى ما
دونه، ومن الرمز إلى المجرد، في عبارات تافهة، مسفة .
إنها خبرات الأنتى وحديث المرضى ومضطربي النفس ممن
وجدوا في ثنايا التاريخ، إذ لم يخلُ منهم عصر، رأيناهم وقد تفتنَّ
في خلق ضروب من الخلاعة والمجون، غير عابئات بمجتمعهم
وعاداته، أو دينه وأخلاقياته ، أو قيمه الموروثة، فبات ذلك شيئاً
مألوفاً لديهن ، فأخرجنه عارياً من الحياء، يلطخ وجه الفضيلة
ويسخر منها.